مرجان

٤

التّيس الطّائش الصّغير

دار العلم للجميع

بيروت - لبنان

مرجان

التّيس الطّائش الصّغير

ٱلتَّيْسُ ٱلصَّغِيرُ (مرجانُ) حَيَوانٌ طَائِشٌ كَثِيرُ ٱلْحَرَكَةِ لاَ يُفَكِّرُ وَلاَ يَتَصَرَّفُ بِهُدُوءٍ ؛ حَتَّى أَنَّهُ لاَ يَرىٰ أَبْعَدَ مِنْ شَعْرَاتِ دَقْنِهِ ٱلْقَصِيرَةِ . يَقْفِزُ فَوْقَ ٱلْحَوَاجِزَ كَٱلْمَجْنُونِ ، يُطَارِدُ ٱلْفَرَاشَاتِ ، وَيُلاَحِقُ ٱلنَّحْلَ أَيْنَما تَكُونُ .

إِذَا رَآهُ ٱلْغُرابُ فِي هٰذِهِ ٱلأَحْوَالِ ، يَنْعَقُ وَيَقُولُ لَهُ : « إِنْتَبِهْ عَلىٰ نَفْسِكَ ، حَاذِرْ مِنَ ٱلْحَرَكَاتِ ٱلْمُؤْذِيَةِ يَا مَرْجَانُ »

لَكِنَّ ٱلْتَّيْسَ ٱلْصَّغِيرَ ، لَا يَسْتَمِعُ إِلٰى نَصِيحَةً ، وَلَا يَهْتَمُّ بِٱلْمَوَاعِظِ ؛ هُوَ يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، مَهْمَا كَانَتِ ٱلْنَّتَائِجُ

رَكَضَ « مَرْجَانُ » فِي ٱلْحَقْلِ حَتَّى وَصَلَ إِلٰى نِهَايَتِهِ ، فَٱلْتَقَىٰ بِهِ ٱلْأَرْنَبُ وَصَاحَ بِهِ : « صَبَاحَ ٱلْخَيْرِ ، أَيُّهَا ٱلْتَّيْسُ ٱلْطَّائِشُ ، أَلَا تَعْرِفُ ٱلْهُدُوءَ ؟ »

فَعَادَ ٱلْأَرْنَبُ وَصَرَخَ بِهِ : « إِنْتَبِهْ . إِنْتَبِهْ . سَوْفَ يَعُودُ ٱلْمُزَارِعُ وَيَرَىٰ مَا فَعَلْتَ ، وَلَنْ يَكُونَ مُرْتَاحاً مِنْكَ أَبَداً . »

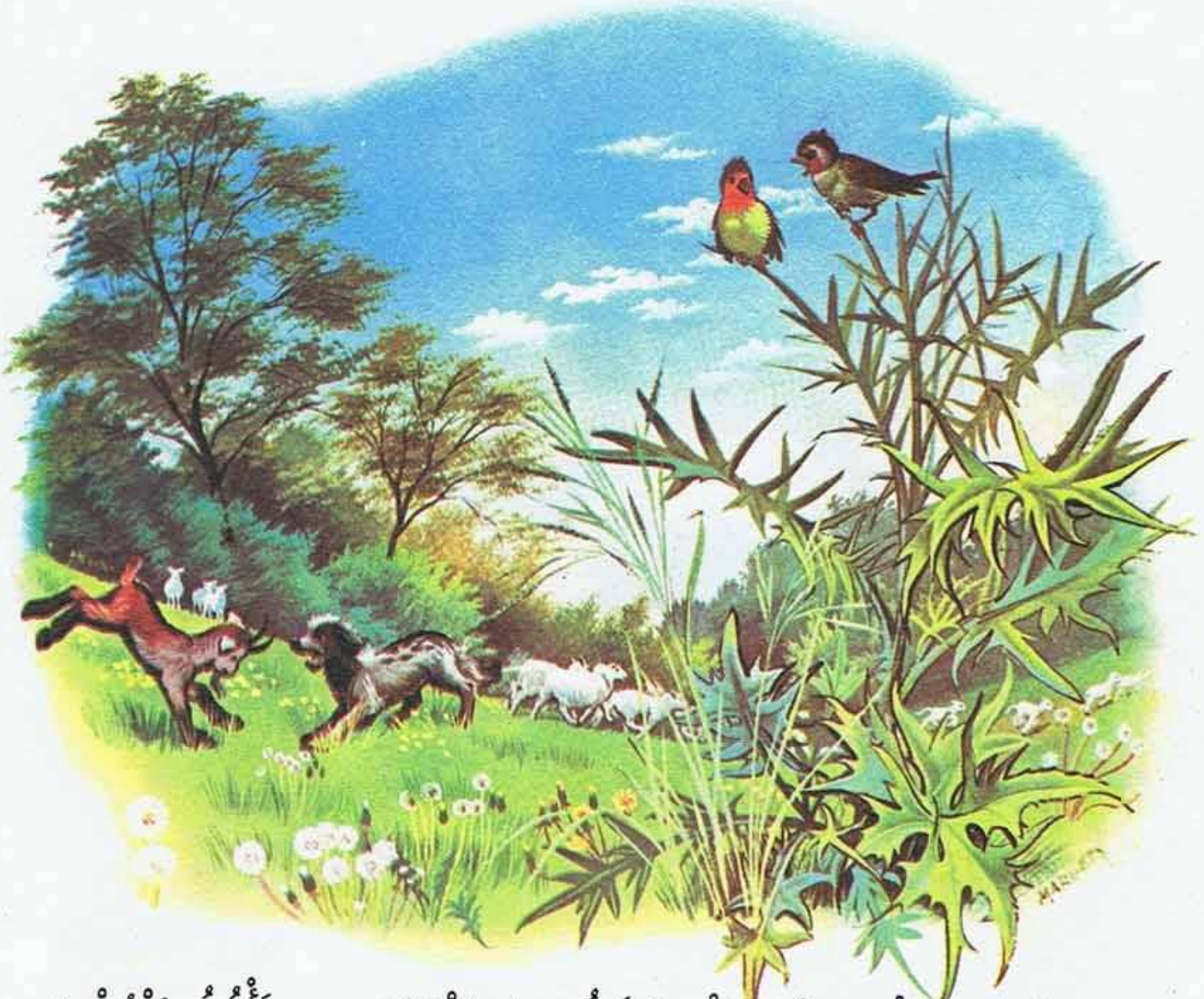

ذَهَبَتِ ٱلْخِرَافُ وَٱلْحِمْلَانُ إِلىٰ ٱلْمَرْعَى ، تَأْكُلُ ٱلْعُشْبَ ٱلأَخْضَرَ ٱلْطَّرِيَّ ، وَتَنَقَّلُ بِلُطْفٍ وَجَمَالٍ ، وَفَجْأَةً مَلأَ ٱلْمَكَانَ ضَجِيجٌ ، وَأَصْوٰاتٌ مُزْعِجَةٌ ، فَرَفَعَ ٱلْخَرُوفُ ٱلْكَبِيرُ يَسْأَلُ : « مَا هٰذِه ٱلْضَّوْضَاءُ ! . . . مِنْ أَيْنَ ؟ »

إِنَّهُ « مَرْجَانُ » ٱلْتَّيْسُ ٱلْمُزْعِجُ ، يُطَارِدُ ٱلْحِمْلَانَ وَيَقْفِزُ عَلَيْهَا وَيُعَذِّبُها ، فَتَهْرُبُ وَتَطْلُبُ ٱلْنَّجْدَةَ ، أَسْرَعَ كَلْبُ ٱلْرَّاعِي وَوَقَفَ فِي وَجْهِهِ وَنَبَحَ وَكَشَّرَ عَنْ أَنْيَابِهِ ٱلْحَادَةَ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ٱلْتَّيْسُ ، فَوَجَدَهُ غَاضِباً حَقّاً ، فَتَوَقَّفَ ثُمَّ تَراجَعَ إِلى ٱلْوَرَاءِ .

أَلْحَقِيقَةَ ، لَمْ يُشَاهِدْ أَحَدٌ مِثْلَ هٰذا ٱلتَّيْسَ ٱلصَّغِيرَ ٱلطَّائِشَ ، لَقَدْ ذَهَبَ هٰذِهِ ٱلْمَرَّةَ يَلْعَبُ بَيْنَ قُضْبَانِ خَطِّ ٱلسِّكَّةِ ٱلْحَدِيدِيَّةِ وَيَأْكُلُ نَبَاتَ ٱلْهِنْدِبَاءِ ٱلْبَرِّيَّةَ ٱلَّتِي يُحِبُّها .

كَانَ ٱلْقِطَارُ يَهْدُرُ وَتَرْتَجِفُ ٱلأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِ ، وَصَغِيرُهُ يَمْلأُ ٱلْجَوَّ بِشَكْلٍ صَارِخٍ ، لَكِنَّ ٱلتَّيْسَ ٱلصَّغِيرَ ٱلطَّائِشَ لَمْ يَتَحَرَّكْ ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ حَارِسُ ٱلْمَحَطَّةِ خَائِفاً عَلَيْهِ ، وَصَرَخَ بِهِ : « إِنْتَبِهْ . إِنْتَبِهْ . سَوْفَ يَسْحَقُكَ ٱلْقِطَارُ إِبْتَعِدْ . »

نَجَا ٱلْتَّيْسُ ٱلْطَّائِشُ مِنَ ٱلْخَطَرِ وَٱبْتَعَدَ قَلِيلاً فَلَقِيَ ٱلْدَّجَاجَةَ تَنْقُرُ وَتَأْكُلُ ٱلْحُبُوبَ فَقَالَ لَها : « تَعَالَيْ لِنَلْعَبَ سَوِيًّا »

رَفَعَتِ ٱلْدَّجَاجَةُ رَأْسَهَا وَتَأَمَّلَتْهُ ثُمَّ أَجَابَتْ :

ـ « حَسَناً . بِمَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَلْعَبَ ؟ »

ـ « أَنَا أَخْتَبِىءُ ، وَأَنْتِ تَخْتَبِئِينْ . »

ـ « وَإِذا أَمْسَكْتُ بِكَ ؟ تَكُونُ مَغْلُوباً . »

أَجَابَها ٱلْتَّيْسُ ضَاحِكاً : « قَبِلْتُ . . . وَاحِدْ . . . إِثْنَانِ . . . ثَلَاثَةْ ! »

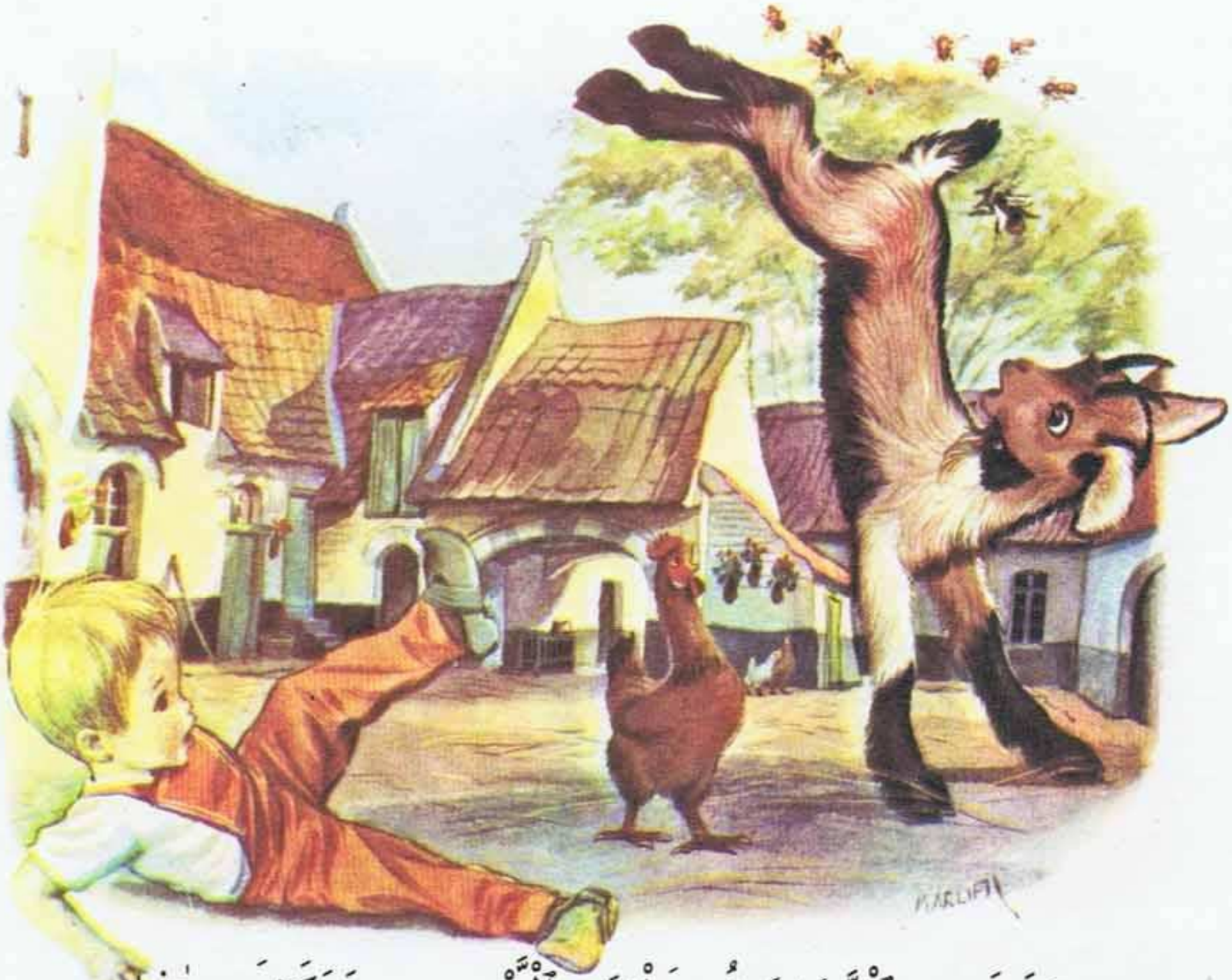

رَكَضَتِ ٱلدَّجَاجَةُ خَلْفَ ٱلتَّيْسِ ، وَرَكَضَ هٰذا . . .
وَبدَأَتْ لُعْبَةٌ بَيْنَ ٱلإِثْنَيْنِ ، وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ ٱلنَّتِيجَةَ بِدُونَ شَكٍّ . هَلْ تَقْدِرُ ٱلدَّجَاجَةُ عَلىٰ أَنْ تُمْسِكَ ٱلتَّيْسَ ٱلصَّغِيرَ ؟

رَكَضَ ٱلتَّيْسُ عَلىٰ غَيْرِ هُدىً حتَّى وَصَلَ إِلىٰ مَكَانٍ فِيهِ قَفِيرُ ٱلنَّحْلِ . وَكَانَتِ ٱلنَّحْلَاتُ تَسْتَرِيحُ فِي دَاخِلِهِ . لَكِنَّ مَلِكَةَ ٱلنَّحْلِ ٱنْتَبَهَتْ عَلىٰ ضَجِيجِ ٱلتَّيْسِ فَصَرَخَتْ : « مَنْ هُنَاكَ ؟ »

فَٱسْتَيْقَظَ جَيْشُ ٱلنَّحْلِ ، وفَتَحَ ٱلْجَمِيعُ عُيُونَهُمْ بِغَضَبٍ ، وَأَخْرَجُوا سِلَاحَهُمْ ، وَهَجَمُوا عَلىٰ ٱلتَّيْسِ يَلْسَعُونَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ .

هَرَبَ ٱلْتَّيْسُ « مَرْجَانُ » وَهُوَ يَصْرُخُ مِنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلأَلَمِ وَلَحِقَتْ بِهِ ٱلْدَّجَاجَةُ ، بَيْنَما ٱلْنَّحْلُ حَوْلَهُ وَفَوْقَهُ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَىٰ ٱلْمَزْرَعَةِ ، لَكِنَّ ٱلْنَّحْلَ بَقِيَ يُطَارِدُهُ وَهُوَ لاَ يَعْرِف مِنْ أَيْنَ تَأْتِيهِ اللَّسَعَاتُ . وَلَمَّا وَصَلَ قُرْبَ « كَرِيمْ » ٱبْنِ ٱلْمُزَارِعِ ، سَقَطَ ٱلْصَّغِيرُ مِنَ ٱلْفَزَعِ لَكِنَّهُ لَمْ يُصَبْ بِأَذىٰ .

هَرَبَتِ ٱلْدَّجَاجَةُ إِلَىٰ غُرْفَةٍ يَسْتَعْمِلُها ٱلْمَزُارِعُ مَكَاناً يَضَعُ فِيهِ أَوْعِيَةَ ٱلْحَلِيبِ ، فَلَحِقَ بِها ٱلْتَّيْسُ وَقَدْ نَسِيَ أَوْجَاعَهُ وَٱلْخَطَرَ .

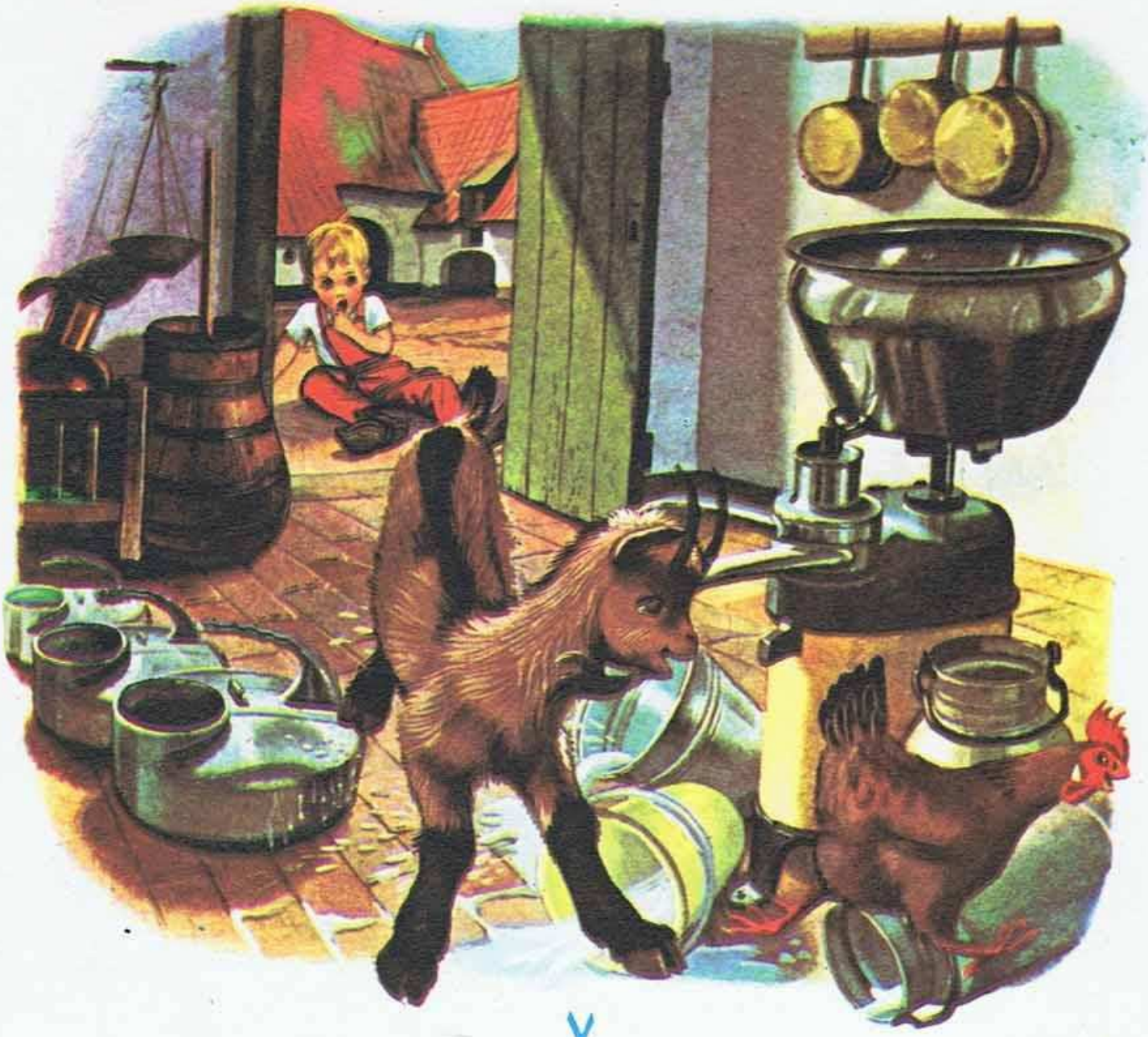

بَعْدَ هٰذِهِ ٱلْفَوْضىٰ ، وَصَلَتِ ٱلْمُزَارِعَةُ مَلْهُوفَةً لِتَعْرِفَ مَا ٱلْخَبَرُ ، فَشَاهَدَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَجَنَّ جُنُونُها وَتَنَاوَلَتِ ٱلْمِكْنَسَةَ ٱلطَّوِيلَةَ وَأَسْرَعَتْ وَرَاءَ ٱلْبُسِ وَهِيَ تَصْرُخُ وَتُهَدِّدُ ، فَذَعِرَ مِنْها وَحَاوَلَ ٱلْفِرَارَ ، لَكِنَّها تَمَكَّنَتْ مِنْ إِصَابَتِهِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ قَبْلَ أَنْ يَهْرُبَ بَعِيداً عَنْها .

هَرَبَ ٱلتَّيْسُ ٱلْمُذْنِبُ إِلى خَارِجِ ٱلْمَزْرَعَةِ ، لَكِنَّ ٱلْمُزَارِعَةَ لَمْ تَتْرُكْهُ يَبْتَعِدُ ، بَلْ لَحِقَتْ بِهِ فِي ٱلطَّرِيقِ حَتَّى قَبَضَتْ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ :

ـ « بِمَا أَنَّكَ لاَ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عَاقِلاً ، فَلاَ بُدَّ مِنْ أَن أَرْبِطُكَ قَصَاصاً لَكَ عَلىٰ عَمَلِكَ »

دَقَّتِ ٱلْمُزَارِعَةُ ٱلْوَتَدَ قُرْبَ شَجَرَةِ ٱلزَّعْرُورِ وَرَبَطَتِ ٱلسِّلْسِلَةَ فِيها ؛ ثُمَّ تَوَقَّفَتْ وَهِيَ تَنْفُضُ كَفَّيْهَا وَتَلْهَثُ مِنَ ٱلتَّعَبِ ، وَتَنْظُرُ إِلى ٱلتَّيْسِ شَامِتَةً بِهٰذا ٱلْقَصَاصِ . . .

لَا يُوجَدُ شَيْءٌ أَصْعَبُ مِنْ أَنْ يَخْسَرَ ٱلْمَخْلُوقُ حُرِّيَتَهُ وَهٰذا مَا أَحَسَّ بِهِ ٱلتَّيْسُ ٱلصَّغِيرُ . فَبَيْنَما كَانَ يَتَنَقَّلُ كَمَا يَشَاءُ ، أَصْبَحَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَصِلَ إِلىٰ نَبَاتِ ٱلْهِنْدِبَاءِ ٱلْبَرِّيَّةِ لِيَأْكُلَهَا .

قَال لَهُ كَرِيمُ : « هٰذَا جَزَاءُ مَنْ يَعْتَدِي عَلىٰ أَرْزَاقِ ٱلْغَيْرِ . عَسَى أَنْ يَكُونَ دَرْساً تَحْفَظُهُ جَيِّداً في ٱلْمُسْتَقْبَل .

وَعَلى كُلِّ حَالٍ سَوْفَ أُسَاعِدُكَ . »

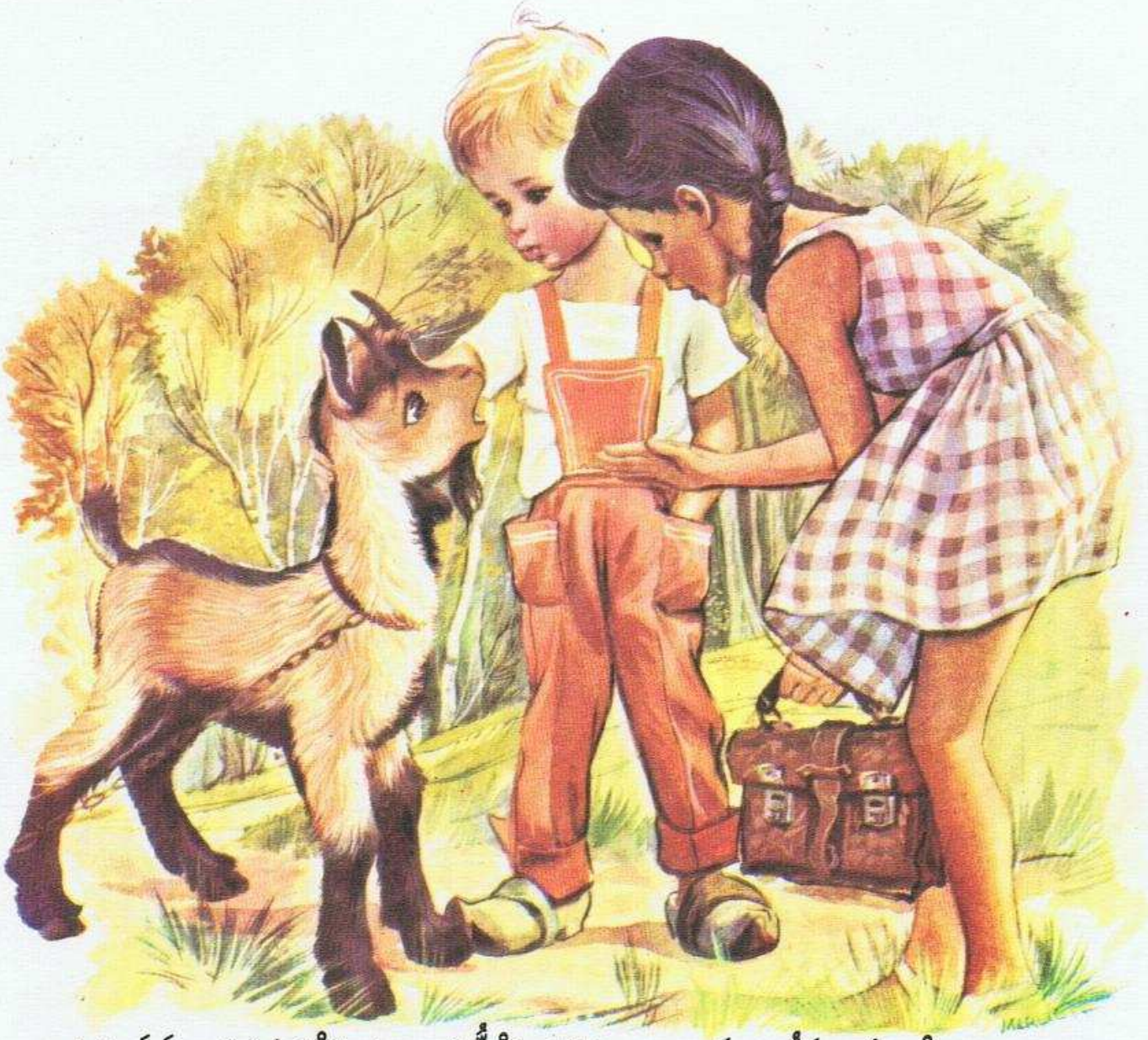

عَادَتْ شَقِيقَةُ « كَرِيم » بَعْدَ ٱلظُّهْرِ مِنَ ٱلْمَدْرَسَةِ فَشَاهَدَتِ ٱلتَّيْسَ مَرْبُوطاً وَهُوَ يَشُدُّ بِكُلِّ قُوَّتِهِ يُرِيدُ ٱلتَّخَلُّصَ مِنْ قَيْدِهِ ٱلْقَاسِي .

فَسَأَلَتِ ٱلتَّيْسَ : « مَاذَا تَفْعَلُ هُنَا ؟ هَلْ فَعَلْتَ شَيْئاً فِي ٱلْمَزْرَعَةِ ؟ »

أَجَابَ « كَرِيمٌ » : رَبَطَتْهُ أُمِّي لِأَنَّهُ عَبَثَ فِي ٱلْمَزْرَعَةِ. وَخَرَّبَ غُرْفَةَ أَوْعِيَةِ ٱلْحَلِيبِ ، وَأَفْزَعَ ٱلدَّجَاجَ وَجَمِيعَ ٱلدَّوَاجِنَ ، وَجَعَلَ ٱلْفَوْضَى فِي كُلِّ مَكَانٍ . . . »

كَانَ ٱلْكَلْبُ ٱلأَسْوَدُ يَتَجَوَّلُ حُراً طليقاً وَيتَنَزَّهُ فِي ٱلْمَزْرَعَةِ ، فَوَصَلَ إِلىٰ حَيْثُ ٱلْتَّيْسِ مَرْبُوطاً فَتَعَجَّبَ مِنْ أَمْرِهِ وَسَأَلَهُ : « مَاذَا حَدَثَ لَكَ ؟ »

أَجَابَهُ مُتَمَلْمِلاً : « أُرِيدُ أَنْ أَقْضِمَ ٱلْهِنْدَبَاءَ فَلاَ أَسْتَطِيعُ ! »

فَقَالَ لَهُ ٱلْكَلْبُ : « أَرَى أَيْضاً أَنَّكَ مَرْبُوطٌ في سِلْسِلَةٍ ، وَيَظْهَرُ أَنَّكَ قُمْتَ بِعَمَلٍ غَيْرَ جَيِّدٍ ، وَرَبَطُوكَ حَتَّى يُعْطُوكَ دَرْساً وَلاَ تُؤْذِي أَحَداً . . . »

قَالَ ٱلْكَلْبُ هٰذا ٱلْكَلاَمَ شَامِتاً سَاخِراً وَٱنْطَلَقَ فِي طَرِيقِهِ يَلْعَبُ حُرّاً سَعِيداً . وَكَانَ ٱلتَّيْسُ يُحِبُّ أَنْ يَذْهَبَ مَعَهُ ، فَيُطَارِدَ ٱلْفَرَاشَاتِ ، وَيَلْحَقَ ٱلنَّحْلَ مَرَّةً ثَانِيةً . هُوَ يُحِبُّ هٰذَا وَلَكِنَّ ٱلسِّلْسِلَةَ لاَ تَسْمَحُ لَهُ بِأَكْثَرَ مِنْ مَسَافَةٍ مَحْدُودَةٍ .

آهِ لَوْ كَانَ حُرّاً طَلِيقاً .

رَاحَ يَشِدُّ بِقُوَّةٍ ، وَيَقْفِزُ بِعِنَادٍ ، حَتَّى ٱنْفَكَّ ٱلرِّبَاطُ : « هٰذِهِ فُرْصَةً ذَهَبِيَّةً ! »

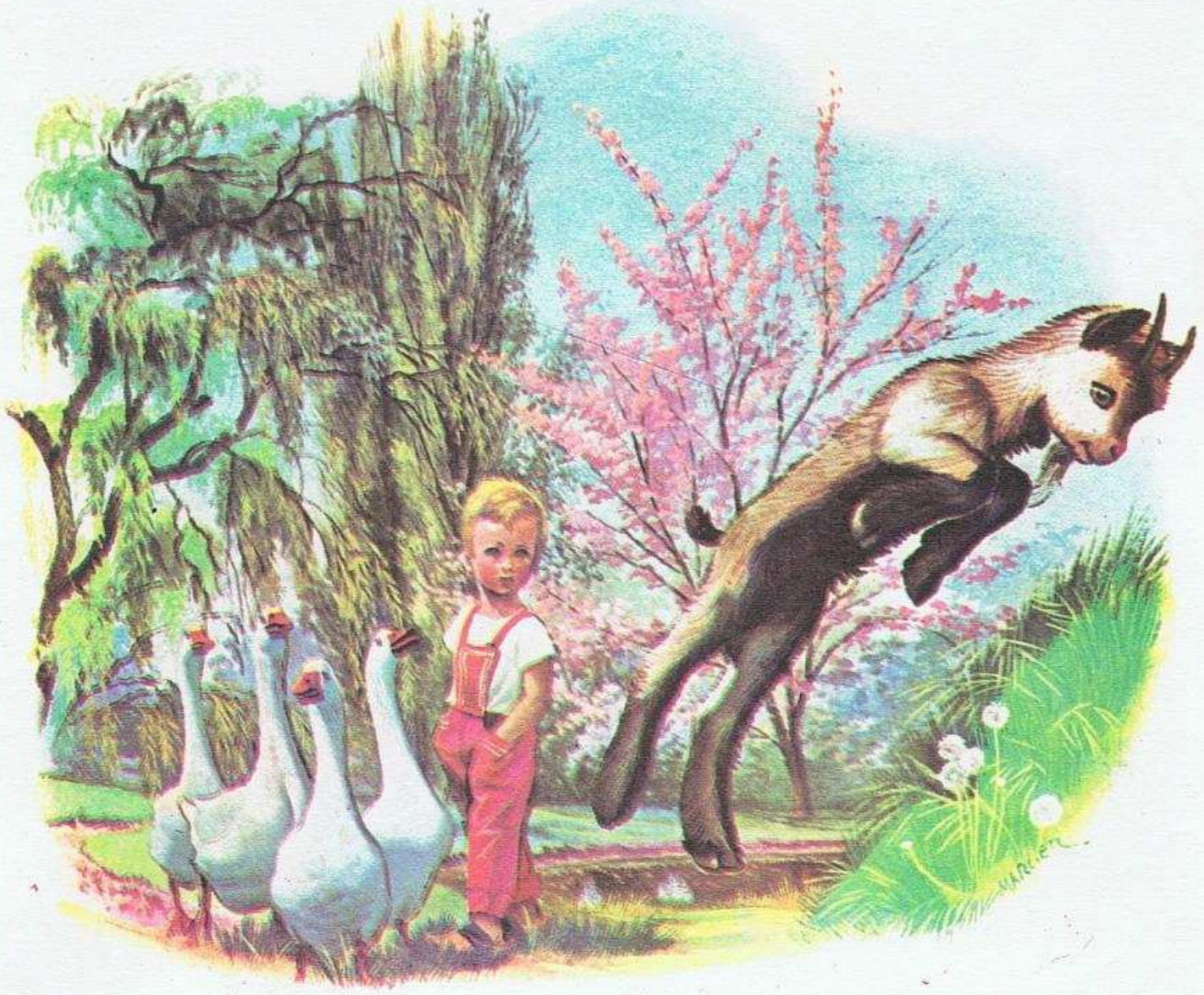

لَكِنَّ « حِسَابَ ٱلْحَقْلِ لَمْ يَنْطَبِقْ عَلىٰ حِسَابِ ٱلْبَيْدَرِ » إِذْ أَنَّ ٱلْمُزَارِعَةِ أُمَّ « كَرِيمٍ » لَمْ تَتْرُكْ لَهُ فُرْصَةً جَيِدةً ، فَمَا أَنْ رَأَتْهُ يَرْكُضُ حَتَّى إِزْدَادَ غَيْظُهَا وَأَسْرَعَتْ في أَثَرِهِ وَقَبَضَتْ عَلَيْهِ . . .

ـ « أَنْتَ لاَ تُرِيدُ أَنْ تَبْقَى مَرْبُوطاً . حَسَناً . . . ! سَوْفَ أَحْبِسُكَ هٰذِهِ ٱلْمَرَّةَ ، وَلَنْ تَتَمَكَّنَ مِنَ ٱلْهُرُوبِ بَعْدَها . . . ! »

قَادَتِ ٱلْتَّيْسَ ٱلْصَّغِيرَ إِلىٰ ٱلْحَدِيقَةِ وَأَدْخَلَتْهُ وَأَسْرَعَتْ لِتُغْلِقَ ٱلْبابَ جَيِّداً . عَادَ ٱلْحُزْنُ إِلىٰ نَفْسِ ٱلْتَّيْسِ ٱلْصَّغِيرِ :

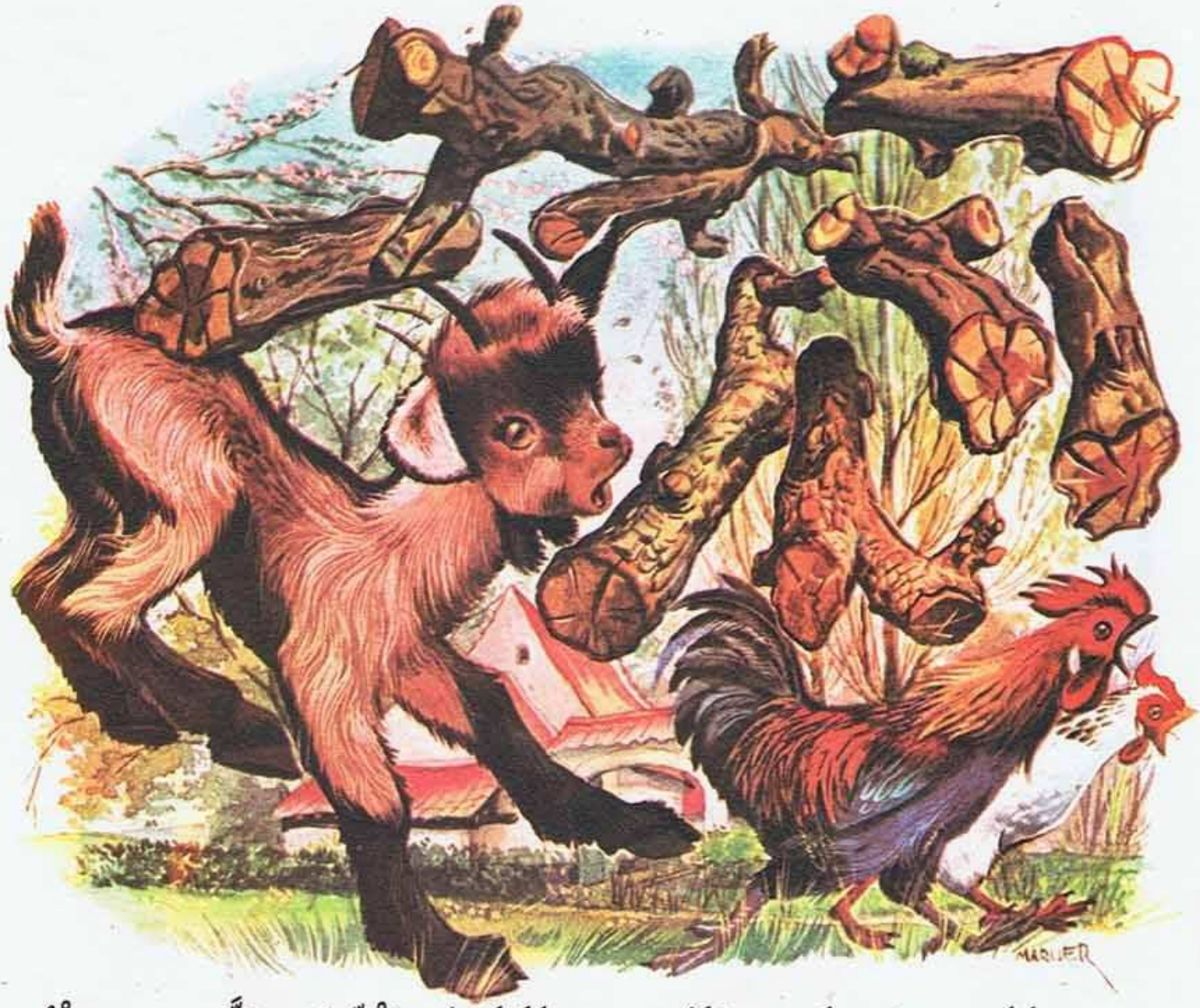

نَظَرَ « مَرْجَانَ » حَوْلَهُ وَرَاحَ يَتَفَحَّصُ ٱلسِّجْنَ ٱلَّذِي حَبَسَتْهُ فِيهِ ٱلْمُزَارِعَةُ . رَأَى فِي إِحْدىٰ ٱلزَّوَايَا مَقْعَداً ، ثُمَّ ٱلدِّيكَ ٱلْمُتَكَبِّرَ

أَمَّا وَرَاءَ ٱلْمقْعَدِ فَقَدْ كَانَتْ تَتَكَدَّسُ كَمِيَّةٌ مِنَ ٱلحَطَبِ

ثُمَّ قِطْعَةً كَبِيرةً مِنَ ٱلْقُمَاشِ فَوْقَهَا . . .

« مَاذَا يُوجَدُ تَحْتَ ٱلْقُمَاشِ ؟ »

وَلِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ ، شَدَّ طَرَفَ ٱلْقُمَاشِ بِأَسْنَانِهِ لِيَرَى .

وَمَا كَادَ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى تَدَحْرَجَ ٱلْحَطَبُ بِشَكْلٍ فَظِيعٍ ، وَتَصَاعَدَ ٱلضَّجِيجُ وَٱلأَصْواتُ وَكَاد ٱلدِّيكُ يَذْهَبَا ضَحِيَّة هذا

ٱلتَّيْسِ ٱلْعَابِثِ ٱلطَّائِشِ ، لَوْلاَ أَنْ هَرَباً في ٱلْوَقْتِ ٱلْمُنَاسِبِ .

رَكَضَ « كَرِيمُ » علىٰ هٰذِهِ ٱلضَّجَّةِ ، وَلَحِقَهُ ٱلْكَلْبُ وَوَصَلَ إِلىٰ الحَاجِزِ وَتَأَمَّلَ ٱلْمَشْهَدَ : هٰذا عَمَلُ ٱلتَّيْس « مَرْجَانُ » إِنَّهُ لاَ يَعْرِفُ غَيْرَ الأَذىٰ ! »

نَظَرَ الْكَلْبُ إِلى صَاحِبِه كَأَنَّهُ يَقُولُ : أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَبْقَى سَجِيناً حَتَّى يُصْبِحَ عَاقِلاً . »